التداولية في التراث اللساني العربي

(نظرية النفوذ والتواصل الخطابي)

أ . م . د . هيثم محمد مصطفى

جامعة الموصل / كلية الآداب

ملخص البحث

تعد هذه الدراسة منطلقا لسانيا تأسيسيا مقاربا لمفهوم الفائدة التخاطبية من خلال النظرية التداولية وللوظيفة التواصلية للخطاب في التراث اللساني العربي ، عبر التأكيد على الخاصية الآلية للغة ، وفي إخضاع السلوك اللغوي لحركة التواصل والتفاعل الاجتماعي ، حيث تؤدي العلاقات الاجتماعية ومن خلال أوضاع المخاطبين ورتبهم ومقامهم دورا وظيفيا هاما في مجال الاستخدام اللغوي ، من مركز المخاطب وعلاقته بالمتكلم ، وطبقة المخاطب ونفوذه على المتكلم ، كل ذلك وغيره تناوله البحث من خلال نظرية (النفوذ والتواصل) الخطابي . تلك المعاني والدلالات التخاطبية التي تحكم التواصل اللغوي بين المتحدث والمخاطب استطاع أن يثورها البحث في ثنايا أفكار المصادر اللسانية العربية القديمة وفي النمط التداولي المتبع في أساليبها ، وذلك مما التفت إليه من حال المخاطب ، ومراعاة مقامه في الخطاب اللغوي ، في استراتيجية استعمالية مميزة ، تفرق خلالها بين المتخاطبين رتبة ودرجة وانتماء ، تخضع اللغة في إطار قوانين إنتاجية خاصة ، وصور من التدرج التنظيمي النوعي للكلام .

المقدمة :

يعد موضوع التداولية علامة بارزة في التراث اللساني العربي ، ومجالا خصبا يغري الباحث بالمتابعة والاهتمام ، وهذه الدراسة تمثل منطلقا لسانيا تأسيسيا مقاربا للفائدة التخاطبية وللوظيفة التداولية للخطاب في المصادر اللسانية العربية المتنوعة وبنماذجها التحليلية المنتخبة ، من خلال التأكيد على الخاصية الآلية للغة ، وفي إخضاع السلوك اللغوي لحركة التواصل والتفاعل الاجتماعي ، حيث تؤدي العلاقات الاجتماعية ومن خلال أوضاع المخاطبين ورتبهم ومقامهم دورا وظيفيا هاما في مجال الاستخدام اللغوي ، من مركز المخاطب وعلاقته بالمتكلم ، وطبقة المخاطب ونفوذه على المتكلم ، كل ذلك وغيره تتناوله نظرية (النفوذ والتواصل) الخطابي . فمصطلحا (النفوذ والتواصل) هما من باب المعاكسة الكلامية للعلاقات الاجتماعية وأسلوب من أساليب الخطاب التي تحكم التواصل اللغوي بين المتحدث والمخاطب ، فهذه المعاني والدلالات التخاطبية ستحاول الدراسة أن يثورها في ثنايا أفكار بعض من عمدة المصادر اللسانية العربية القديمة وفي النمط التداولي المتبع في أساليبها ، وذلك ما التفت إليه من حال المخاطب ، ومراعاة مقامه في الخطاب اللغوي ، في استراتيجية استعمالية مميزة ، تفرق خلالها بين المتخاطبين رتبة ودرجة وانتماء ، تخضع اللغة في إطار قوانين إنتاجية خاصة ، وصور من

التدرج التنظيمي النوعي للكلام ، حيث إن مقاصد المتحدث ونمط بناء أسلوبه يتغاير وفق التوجهات المقامية الفارقة بينه وبين المخاطب .

وتبرز أهمية الدراسة في إحياءها أصل من أصول الدرس اللغوي التحليلي عند العرب ، وتوجيهها نحو الوجهة التداولية السليمة ، من خلال طروحات تلك المصادر اللسانية العربية الهامة .

وأخيرا نقول إن فضل اللغويات العربية على اللسانيات كبير ، وبذلك يكون للفكر اللغوي العربي القديم فضل السبق في كثير من القضايا والمباحث اللسانية ، التي توصلت إليها مناهج البحث اللغوي الحديث ، سواء أكانت هذه المناهج وصفية بنيوية ، أم توليدية تحويلية ، أم وظيفية ، أم تداولية . والتي تتربع اليوم عرش الدراسات اللسانية الحديثة . وهكذا ... .

هذا وقد اقتضت الطبيعة العلمية لمادة البحث أن يقتصر منهجه على المبحثين الآتيين :

. المبحث الأول : الفائدة التخاطبية قرينة تداولية في إنجاز الخطاب .

. المبحث الثاني : نظرية (النفوذ والتواصل) الخطابي في التراث اللساني العربي .

المبحث الأول

الفائدة التخاطبية قرينة تداولية في إنجاز الخطاب

يعد مبدأ الإفادة إحدى أهم المبادئ التداولية (Pragmatics) التي يقوم عليها عملية التخاطب ، وهو نوع من مجموعة من المبادئ أو القواعد الرئيسة التي يهتم بها البعد التداولي للخطاب ، فإلى جانب مبدأ (الإفادةBenefit) هناك مبدأ (التعاونCooperativ) ، ومبدأ (التأدبPoliteness) ومبدأ (القصدIntentionalit) . [١] ولكل واحد من هذه المبادئ شخوصه وفروعه ومسائله ، حيث يهتم بجانب من جوانب الخطاب بغية الوصول للغرض والغاية المعنية منه ، كما يسهم في إغناء الدرس التواصلي وإبراز القيمة التداولية للكلام .

ويتحدد مسار (الإفادة) تداوليا بعنصري (المتكلم والمخاطب) ، انطلاقا من أن الخطاب يأخذ طابعه التفاعلي بينهما ، ومن ثم استحضار شروط انتاجه المحيطة به ، والفائدة التخاطبية (The Benefit Of Speech) ألصق بالمخاطب وهو مناط التواصل بما يلقيه المتكلم من مسائل إبلاغية ، وبصور ومعان أسلوبية متنوعة يستحضرها مسامعه ليتشكل لديه عملية الإفهام المناسبة[٢]. أما مبدأ الإفادة من حيث الظاهرة النحوية فنجد أن العلاقة بين البناء والأداء الأسلوبي للعبارة النحوية تتوخى الملاءمة دوما لا من حيث اللغة ، ولكن من حيث البلاغة والفائدة ، كذلك فإن النظرية النحوية لا تقتصر في تحليلاتها وتفسير ظواهرها على الجوانب الشكلية (اللفظية) فحسب ، بل تتجاوز في الاهتمام بالجوانب الوظيفية وهي الأهم في عملية التواصل ، لذا نجد في الفكر

النحوي العربي حديث النحاة عن الكلام الذي تحصل به الفائدة ، وعن معاني النحو بما يتيحه للمتكلم صاحب الخطاب من طرق ومرام أسلوبية متنوعة في التعبير عن المعاني المقصودة ، وعليه فمادة الدراسة النحوية عندهم هي الحديث أو الكلام الجاري (لا الحكم) ، من حيث هو تبادل لفظي تواصلي ينتج فائدة[٣] .

ولعله من أهم الشروط التي تتحقق بها الفائدة للكلام بين المتكلم والمخاطب أمران " ثبوت معنى دلالي عام للجملة ، وأن تكتمل النسبة الكلامية للجملة فتحصل للسامع فائدة من الكلام يكتفي بها ، بأن تكون عناصر العبارة معينة ودالة ، أما إذا انتفى أحد هذين الشرطين ، فإن الجملة تفقد أهم شرط في صحتها وهو حصول الفائدة لدى السامع ، ولا يصح عندئذ تسميتها بالجملة ولا بالكلام "[٤] ، ولذلك يقول ابن جني (ت٣٩٢هـ) في تعريفه للكلام وغيره ممن سبقه من النحاة : " كل لفظ مستقل بنفسه ، مفيد لمعناه ، وهو الذي يسميه النحويون الجمل "[٥]، ويقول في موضع آخر عن الكلام : " اللفظ الذي يفيد فائدة يحسن السكوت عليها ... والمستمع يكتفي بها "[٦] .

ولما كانت الفائدة التخاطبية من المقاصد المعنوية في النحو العربي ، وهو مقصد عظيم من مقاصد العرب ، ومحور رئيسي من المحاور التي تدور عليها كثير من الأبواب النحوية ، ربط النحاة الأوائل عند تناولهم للغة ووصفها ، بين كل ظاهرة من الظواهر اللغوية بما يمكن أن تؤديه من معنى ، لا من حيث البنية بل من حيث الإفادة كما ذكرنا ، وأوضح برهان على ذلك اهتمام (ابن جني) مثلا بمفهوم الجملة ، وتمييزه بين الكلام كبنية والكلام كخطاب ، فمن المعلوم أن ابن جني يسمي الجملة (كلاما) يحسن أن يسكت المتكلم عند انتهائه من التلفظ ، لاستقلاله من حيث اللفظ والمعنى[٧] ، وعند هذه الرؤية تتأسس النظرة المفارقة بينهما ، أي بين الكلام كخطاب ، باعتباره حدثا إبلاغيا تواصليا معياره الفائدة ، والكلام كبنية تحكمها صورة أدائية محددة .

هذا وهناك نصوص كثيرة وآراء مروية عن النحاة تشدد على الفائدة في الخطاب قبل التفكير في صيغة البنية حصرا ، من ذلك أنهم ذكروا في باب (المبتدأ والخبر) ، أن أصل المبتدأ أن يكون معرفة ، وأصل الخبر أن يكون نكرة ، وذلك لأن الغرض من الإخبارات إفادة المخاطب ما ليس عنده ، وتنزيله منزلتك في علم ذلك الخبر ، والإخبار عن النكرة لا فائدة فيه ، فإن أفاد أجاز[٨]. وأفاض النحاة في ذكر الفائدة في حديثهم عن مسوغات الابتداء بالنكرة ، يقول ابن السراج (ت٣١٦هـ) : " إنما امتنع الابتداء بالنكرة المفردة المحضة ، لأنه لا فائدة فيه ، فلا معنى للتكلم به ، ألا ترى لو قلت : رجل قائم ، أو رجل عالم لم يكن في هذا الكلام فائدة ، لأنه لا يستنكر أن يكون في الناس رجل ، قائما أو عالما "[٩] . ويقول ابن هشام (ت ٧٦١هـ) : " لم يعول المتقدمون في ضابط ذلك ـ يعني مسوغات الابتداء بالنكرة ـ إلا على حصول الفائدة "[١٠] .

كذلك منع النحاة التعجب من النكرة لغياب عنصر الفائدة في ذلك ، لا يقال ما أحسن رجلا ، لأنه لا فائدة فيه[١١] . وفي حديثهم عن الحال منعوا مجيئها من النكرة قالوا : " لأنه كالخبر عن النكرة ، والإخبار عن النكرات لا فائدة فيها "[١٢] .

ومن هذه الآراء أيضا في مبدأ الإفادة منع البصريين توكيد النكرة ، واحتجوا بأن " النكرة شائعة ليس لها عين ثابتة كالمعرفة ، فينبغي ألا تفتقر إلى توكيد ، لأن تأكيد ما لا يعرف لا فائدة فيه "[١٣] . هذا وفي سبيل إيضاح أكثر لمبدأ الإفادة ، ثمة قواعد توجيهية نعرضها للقارئ ، وصفها النحاة في شكل قوانين عامة تدور حول الفائدة منها[١٤]:

١. الأصل في الكلام أن يوضع لفائدة .

٢. حمل الكلام على ما فيه فائدة أشبه بالحكمة من حمله على ما ليس فيه فائدة .

٣. حذف ما لم يجئ لمعنى أولى .

٤. الإعراب إنما دخل الكلام في الأصل لمعنى .

٥. متى أمكن أن يكون الكلام جملة واحدة كان أولى من جعله جملتين من غير فائدة .

٦. تأكيد ما لا يعرف لا فائدة فيه .

٧. لا حذف إلا بدليل . وذلك لأن الدليل هو الذي يحقق الفائدة .

فمن هذه القواعد المبسوطة وغيرها نستنتج أن مقصد الفائدة التخاطبية يمثل محورا هاما تلتقي عنده أغلب الأبواب النحوية. لذا فاستحضار مفهوم الإفادة الذي اشترطه النحاة العرب في العديد من قواعدهم التوجيهية للكلام العربي لهو دليل على أنهم بعيدي النظر اللغوي وذات رؤية متسعة تصل إلى ما هو أعمق من الشكل السطحي للكلام ، وأيضا دليل على إدراكهم للعلاقة الجامعة بين اللغة والفكر ، يقول عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) : " وأن العلم بمواقع المعاني في النفس علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النطق "[١٥] . فالفائدة التخاطبية هي قرينة تداولية وفي الوقت نفسه معيار يحصل به الفهم اللازم للكلام أو الجملة في النظرية النحوية بغض النظر عن النظام أو البنية .

هذا وإن استيعاب النحاة العرب وبلاغييهم لماهية اللغة ، دفعهم أحيانا إلى تخطي حدود النص الذاتية في تحليله اللغوي مستعينين في ذلك بمعيار الفائدة ، ليلتفتوا إلى مجموع الظروف التي تحيط بالحدث الكلامي وبعناصره من متكلم ومخاطب وحال مشاهدة ، ذلك أنه من " الضروري لفهم وظيفة اللغة من حيث هي آلة ، أن ننظر إليها في إطار عوامل رئيسة ثلاثة ينظمها الموقف ، هي : المتكلم ، والمستمع ، والأشياء (أي عناصر الموقف المحسة وأوضاعها) التي هي موضوع الكلام ، ويقوم الرمز اللغوي على التواؤم وهذه العوامل الثلاثة ، فهو يتواءم والمتكلم ويتواءم والمستمع ، ويتواءم وعناصر الموقف وأوضاع الحقيقة الخارجية ، ويقصد بالتواؤم هنا أنه إذا اختلف المتكلم اختلف الرمز اللغوي وفقا لذلك ، وإذا اختلف المستمع اختلف الرمز أيضا ، وإذا اختلفت عناصر الموقف وأحواله اختلف الرمز وفقا لها "[١٦] . ولعل (ابن جني) في كتابه المعروف (الخصائص) خير

من يمثل له في هذا السياق كمصدر لساني عربي مهم نستشهد بكلامه هنا ، إذ نجده مثلا لا يغفل عن أي حركة أو سكنة أو إشارة أو انفعال يرافق الحدث الكلامي ، بل يؤكد أهميتها في كشف المعنى ، فيقول في (الخصائص) : " وقال لي بعض مشايخنا رحمه الله : أنا لا أحسن أن أكلم إنسانا في الظلمة "[١٧] . أجل فإن هذه الظلمة ستفقد الحدث الكلامي كثيرا من مقوماته التي يعتمد عليها إلى جانب اللغة نفسها ، ويؤكد تحليله التداولي هذا في قوله : " أولا تعلم أن الإنسان إذا عناه أمر فأراد أن يخاطب به صاحبه ، وينعم تصويره له في نفسه استعطفه ليقبل عليه ، فيقول : يا فلان أين أنت أرني وجهك ، أقبل عليّ أحدثك ، أما أنت حاضر يا هناه ، فإذا أقبل عليه ، وأصغى إليه ، اندفع يحدثه ، أو يأمره ، أو ينهاه ، أو نحو ذلك ، فلو كان استماع الأذن مغنيا عن مقابلة العين ، مجزيا عنه ، لما تكلف القائل ، ولا كلف صاحبه الإقبال عليه ، والإصغاء له " [١٨] .

ومن اللافت للنظر أن القدماء كادوا يجمعون على أن مراعاة الحال والتي من خلالها تتحقق الفائدة في الكلام تختص بالمخاطب دون المتكلم ، ونحن لا ننكر ذلك ، إلا أننا نرى تأثر المتكلم أيضا بمراعاة حاله عند التكلم ، فالغاضب على سبيل المثال قد يكون كلامه بطريقة يعبر بها عما يعتمل في صدره من غضب أو كراهية أو انفعال ، فينفعل المخاطب لما يقول المتكلم ، وعلى ذلك يجب الاهتمام بمراعاة حال المتكلم والمخاطب معا ، حتى نبلغ قمة البلاغة في تحقيق الفائدة للكلام ، وهو لا شك أفضل من مراعاة حال أحدهما من دون الآخر[١٩]. وهذا الذي نبهنا إليه قد سبقنا إليها (ابن جني) أيضا ، فهو بخلاف العديد من القدماء نحاة ولغويين ، نجده يذهب إلى أن لغرض المتكلم دورا فاعلا في تكييف الخطاب والغاية التي يرومها المتكلم توجها مع الفائدة المبتغاة من الخطاب ، كأن يبيح حذف أحد ألفاظ الجملة كما في المثال الآتي : " وقد حذف المميز ، وذلك إذا علم من الحال حكم ما كان يعلم منها به ، وذلك قولك : عندي عشرون ، واشتريت ثلاثين ، وملكت خمسة وأربعين " ، وهذا التركيب قد يكون صحيحا أو غير صحيح بالنظر إلى مقصد المتكلم وغرضه ، فإن قصد الإبانة ولم يعلم المراد من قوله ، فسد الحذف ووجب ذكر المميز ، أما إن أراد الإبهام وقصد عدم الإبانة صح التركيب وساغ الحذف ، وفي هذا يقول : " فإن لم يعلم المراد لزم التمييز ، وإذا قصد المتكلم الإبانة ، فإن لم يرد ذلك وأراد الإلغاز وحذف جانب البيان لم يوجب على نفسه ذكر التمييز ، وهذا إنما يصلحه ويفسده غرض المتكلم ، وعليه مدار الكلام ، فاعرفه "[٢٠] .

إذن نستطيع الآن أن نخرج مما عرضناه من أن عملية الفهم في المنظومة التداولية العربية ممثلة في منظومتها النحوية تكتمل بتوفر عناصر (المتكلم . المخاطب) المنتجين لعنصري (التواصل . الفائدة) ، والتوضيح بهذا المخطط :

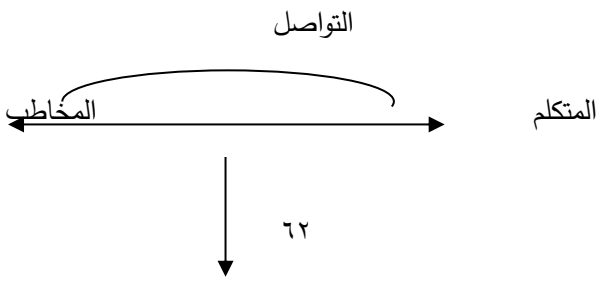

الفائدة

هذا وإن المصادر اللسانية العربية بمفرادتها النوعية المختلفة ، كانت دائمة الاستدعاء والتمثيل لهذا المنحى التداولي عبر هذين الركنين (المتكلم . المخاطب) ، بل إن نصوصا عديدة تعج بالتوجيه في السير نحو هذا المقصد التخاطبي (الفائدة) ، منطلقا من أن الكلام أو العبارة ما كان فيه فائدة جاز وحسن ، وما لم يكن لم يحسن[٢١] .

ولا بد من الإشارة هنا من الفائدة التخاطبية ناتجة عن مستوى استعمالي خاص من التراكيب ، يكشف عن وجود علاقة مسبقة بين المتكلم والمخاطب ، وإلا لما كانت عملية التواصل قائمة على الملاءمة والإفهام ، ثم إن المجال في الاستعمال اللغوي مجال متحول متغير يرتبط بتعبيرات ونماذج تركيبية متعددة كما رأينا ، يخضع في الأساس لقدرة المتكلم على تطويع اللغة عن طريق إيجاد علائق إسنادية مختلفة لعلائق فكرية مرتبطة في ذهنه ، يتوخى من خلالها " اختزالا للمسافة التي يحدثها الوعي المنقسم على اللغة حينما تتوجه لبناء القصد "[٢٢] السياقي المطلوب من التراكيب . فالتماس الدلالة هي الغاية الأساسية من (الفائدة التخاطبية) للكلام ، وعلى الرغم من التحولات التي تجري في عناصر الجملة ، فإن المخاطب يستطيع جني الفائدة منها تماما ، وهذه طبيعة النص الديناميكية التي تفرض إجراءاتها الملائمة بالرغم من طابع التغيير الشكلي الذي يلحقها[٢٣] ، ذلك أن الجانب الوظيفي للتركيب بقسميه (النظمي والدلالي) يتهيأ لإظهار المعنى في عدة صور مختلفة ، ومبدأ (الإفادة) هي إحدى الجوانب الملازمة للتركيب في إبراز المعاني المناسبة .

المبحث الثاني

نظرية (النفوذ والتواصل) الخطابي في التراث اللساني العربي

تحدثنا في المبحث الأول عن الفائدة التخاطبية في التراث اللساني العربي عموما ، ورأينا كيف أن مبدأ (الإفادة) وهي إحدى المبادئ التداولية في صناعة الخطاب استشعر بها النحاة خصوصا في المستوى الاستعمالي للتراكيب ، واستنتجنا أن نصوص كتابهم تعج بهذا التوجيه للكلام أو العبارة وعرضنا بعضا من شواهد وأمثلة لذلك محللين ومبينين مواطن الإفادة فيها .

أما في هذا المبحث فسندخل إلى بعد آخر من أبعاد الخطاب عند تلك المصادر اللسانية في التراث العربي ، حيث يمثل الركن الأساسي الذي يقوم عليه البحث ، وهو نظرية (النفوذ والتواصل LifLuence and Communicate) الخطابي[٢٤] . هذا ففي التراث اللساني العربي أساليب تخاطبية تتعلق بتأدية القول على أتم

وجه ، بحيث تراعى شروط التبليغ من قبل منشئ الخطاب وشروط التبيين للغير على أصول الأحوال اللغوية والمقامية والمعرفية لهذا الغير ، وهو ما سنتناوله هنا تحت تداولية " النفوذ والتواصل " في هذه الخطابات كما سيأتي .

ومن المعلوم أن اللغة تعكس التفاعل الاجتماعي للمتكلم ، كما تعكس التطابق والتباين الحاصل للمتكلمين في أثناء العملية التخاطبية ، ولعل اختلاف مستويات المتكلمين في نطاق اللغة الواحدة ، من حيث مستوى الأشخاص وانتماءاتهم ، وطبقاتهم الثقافية ومراكز نفوذهم ، إضافة إلى مستوى الزمان والمكان ، هذه الوسائل جميعا والمميزات تخضع اللغة في إطار قوانين انتاجية خاصة ، وصور من التدرج التنظيمي النوعي للكلام ، يتبعها المتكلم في اهتمامها بالصفة اللغوية المناسبة التي يستعملها مع المتكلم إليه ، والصورة التي تصل إليه تلك الرموز اللغوية[٢٥] .

وقبل الدخول في بيان محتوى هذه النظرية التخاطبية ، نجد أن هناك عاملين أساسيين يؤثران في المخاطب في اختيار استراتيجية خطابه ، وهذان العاملان هما[٢٦] :

الأول : العلاقة السابقة بين المخاطب والمتلقي أو المرسل إليه التي قد تتدرج من الحميمية إلى الانعدام التام ، ويسعى المخاطب أو المرسل في هذه الحالة إلى تعويضها من خلال إيجادها بالخطاب .

الثاني : السلطة ، فقد يمتلكها أحد طرفي الخطاب اجتماعيا على الطرف الآخر ، عندما تعلو درجة الطرف المقابل ، وقد لا يمتلكها أي منهما عندما تتساوى درجاتهما ، أو عندما لا يربطهما أي علاقة .

وعلى هذا ينبني تحديد استراتيجية الخطاب اجتماعيا على هذين العاملين بشكل عام ، وهو يعود إلى تصنيف بعض علماء الخطاب للعلاقات التخاطبية القائمة بين الناس إلى صنفين : الصنف العمودي ومحوره النفوذ أو القوة والسلطة ، والصنف الأفقي ومحوره التواصل أو التضامن[٢٧] .

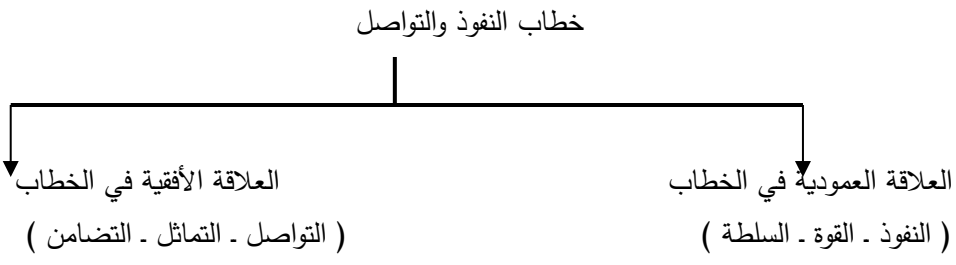

إذن فإن استراتيجيات الخطاب بين المتحدثين ، ولا سيما عند " المرسل " تختلف تبعا للمعايير والمتغيرات السياقية التي ترجح اشتراط وانتقاء أسلوب عن آخر ، وذلك من خلال البعد الاجتماعي بين المتحدث والسامع وفق العلاقة التماثلية بينهما ، أو علاقة السلطة بينهما من درجة أعلى إلى أدنى وبالعكس ، بالإضافة إلى القيود التي تفرضها أحيانا ثقافة معينة على أسلوب الخطاب ليضطر المرسل باتباع آلية الانسجام الخطابي مع تلك القيود ، فضلا عن نوعيتها . [٢٨]

ومن هذا المنطلق الوظيفي الاجتماعي جاءت نظرية (النفوذ والتواصل) أو القوة Force والتضامن Implicature كما تسمى أيضا ، لتعكس العلاقات الاجتماعية بين المتخاطبين ، وصور الأداء اللغوي التي تظهر التباين الهرمي للصيغ المؤدية لهذا النوع من التواصل . والنفوذ والتواصل من المصطلحات المستعملة في مراعاة وظيفة التنوع الخطابي للغة حسب مقامات المخاطبين ، اقترحهما روجر براونR.Brown وستيفن ليفنسون S.Levinson كاستراتيجية خطابية تداولية مناسبة تضمن التواصل والتفاعل في الكلام ، ويراعي في نفس الوقت ظاهرة " التأدب " الاجتماعي وكذلك " السلطة " المتضمنة بين طرفي الخطاب بتقدير درجة الوجاهة المرتبطة بالفعل اللغوي التداولي المنجز [٢٩] .

والمفارقة الخطابية بين هذين المدلولين نابع بسبب أن " الأقوى يستعمل الصيغة الاعتيادية لمخاطبة الأقل قوة ، في حين أن الأقل قوة يستعمل الصيغة المؤدبة في جوابه ، وعندما يتوافر التضامن تستعمل الصيغة الاعتيادية "[٣٠] ، معنى هذا أن مفهوم (النفوذ) يكون حاضرا في الخطاب عندما تكون العلاقات الاجتماعية غير متكافئة بين المتحدث والمخاطب ، في حين أن مفهوم (التواصل) حضوره مرهون في الخطاب عندما تكون العلاقة الاجتماعية متكافئة بين طرفي عملية التخاطب ، لذلك فمفهوما (النفوذ والتواصل) بهذا الاعتبار يمثلان حالة مضايفة للواقع الاجتماعي اللغوي من خلال تأثيرها كليا أو جزئيا بالمتغيرات الاجتماعية التي تصاحب الحدث الكلامي ، فضلا عن نوع العلاقة الحاكمة بين المتحدثين ومركزية الذوات ونفوذها ، وطبيعة النظرة والتركيبة الاجتماعية . جميع هذه الاعتبارات شواهد ودوال على الاختيارات اللغوية التي تحدد صور العملية التخاطبية عبر (النفوذ والتواصل) ودرجاتهما المتفاوتة بين المتحدث والمخاطب .

وينبغي البيان هنا في إطار هذه النظرية ، بأن كل اللغات لها وسائلها الخاصة في الدلالة على الاختلافات الاجتماعية التي تدل على أي من عنصري (النفوذ والتواصل) أو كليهما ، كما يمكن تفسير ذلك أيضا بالقول : إن النفوذ والتواصل أو القوة والتضامن يعدان من أهم العوامل المؤثرة في عملية الاتصال الاجتماعي المباشر بين الأفراد ، وأنهما يعبران عن حاجة الفرد لتحديد رؤيته في طبيعة هذه العلاقات[٣١] .

ولكي تتضح علامات هذه النظرية في الاستخدام اللغوي ، نرى أن لذكر الأسماء الشخصية وذكر الألقاب في العادات والممارسات الخطابية تأخذ صورا متعددة ، فكل شخص قد يخاطب باسمه أو بأسماء مختلفة ، أو باسم الأسرة وصيغة اللقب التي يتبعها اسم الأسرة ، أو ينعت بلفظ السيد أو الأستاذ وما إلى ذلك . فالذي يقرر صور

التخاطب في هذه الحالات المنزلة الاجتماعية أو النفوذ والتواصل ، فهما يحاولان ربط الواسطة اللغوية بالصفة الاجتماعية لذوات المخاطبين ، فنستخدم الأسماء الشخصية عندما يكون هناك قدر كبير من التضامن بين المتحدث والمخاطب ، وعندما يكون المتحدث أقل من حيث القوة كأن يكون من المرؤوسين مثلا فنلحظ استخدام صيغ الرئيس أو الأستاذ أو السيد مع المخاطب[٣٢] .

وفي القرآن الكريم على سبيل المثال نجد الباري (عز وجل) خاطب الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام جميعا بأسمائهم الشخصية ، دون ذكر ألقابهم أو كناهم ، مودة لهم وتقربا ، فقال تعالى : " يا إبراهيم أعرض عن هذا إنه قد جاء أمر ربك "[٣٣] ، وقال تعالى : " وما تلك بيمينك يا موسى "[٣٤] ، وقال أيضا : " يا يحيى خذ الكتاب بقوة "[٣٥] ، فهذه الآيات وغيرها تشهد خطاب التواصل والتضامن بين الله جل وعلا وبين أنبيائه المرسلين ، ولكن بالمقابل نجد انتفاء للتواصل وغيابا للتضامن بين الله عز وجل ومن عصاه من المشركين والكفار ، لذلك ذكر ربنا جل جلاله أعداءه بكنيتهم استهانة وسخرية بهم من دون تودد في الخطاب ، قال تعالى : " تبت يدا أبي لهب وتب "[٣٦] ، حيث استعملت الآية الكنية لفقدان التضامن وغياب التواصل . [٣٧] ونلاحظ هنا أن النص القرآني قد استخدم العلاقة الأفقية في الخطاب ، في منحى تداولي بين فيه قيمة المنزلة والمناسبة الكلامية ورغبة التواصل مع المخاطب وهم الأنبياء والرسل ، رغم أن الخطاب صادر من الباري عز وجل ، أي من الأعلى إلى الأدنى . على عكس العصاة من الكفار والمشركين فقد استقصد الخطاب القرآني تلك العلاقة العمودية والسلطة المتعالية القوية والنافذة في الفعل الإنجازي ، والذي يغيب عنه أي معيار من المواساة والرغبة والتقرب من المخاطب ، بل المبالغة في الإنكار والاستهزاء طعنا لذواتهم واستحقارا من شأنهم إلى يوم يبعثون.

ونلمس لهذه النظرية التداولية أي (النفوذ والتواصل) جذورا شبيهة في التراث اللساني العربي تصل إلى حد التطابق ، حيث الفكرة الوظيفية القائمة بين المتخاطبين ، ومراعاة المقام التداولي في الخطاب اللغوي ، والالتفات إلى أسلوب الانتقاء والاختيار في الكلام ، ممن هو أدنى إلى أعلى أو بالعكس . وعلى كثرة هذه التطبيقات التداولية سنحاول الوقوف عند ثلاثة مصادر معتبرة في تراثنا اللساني ، نقتنص من نصوصها استراتيجية خطاب وتقنية في الأسلوب يلجأ إليها المتكلم بطريقة قصدية تمكنه من تمرير رسالته إلى متلقيه بمقتضى وبغرض إنجازي ضمن فضاء تداولي متفاعل . وهذه المصادر تكون على النحو التالي : كتاب (الخصائص) لأبي الفتح عثمان بن جني ، وكتاب (محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء) لأبي القاسم الراغب الأصفهاني (١١٠٨هـ) ، وكتاب (بدائع الفوائد) لأبي عبدالله ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ) . هذا ولم نراع الترتيب الزمني في اختيار النص من حيث التقديم والتأخير بين (ابن قيم) و (الأصفهاني) ، لأسباب تقنية تحليلية لجأ إليها البحث مراعاة للقصدية التداولية لنظرية النفوذ والتواصل والتي يحملها مضمون كل نص أو خطاب ، فكانت الأولى للغاية وليس للأسبقية في الترتيب .

نبدأ بـ (ابن جني) ففي نص طويل له في (الخصائص) يستعرض قيمة ودلالة الخطاب التداولي وأسلوب النفوذ الجاري لدى المتكلم إلى من هو أرفع منه منزلة ، وذلك في حديثه عن مخاطبة الملوك وصورة العلاقة العمودية في الخطاب من الأدنى إلى الأعلى ، في بيان واضح لحضور طبقة المخاطب ومكانته ونفوذه وسلطته في الخطاب ، إذ يقول : " إن أصغر الناس قدرا قد يخاطب أكبر الملوك محلا بالكاف من غير احتشام منه ، ولا إنكار عليه ، وذلك نحو قول التابع الصغير للسيد الكبير : قد خاطبت ذلك الرجل ، واشتريت تينك الفرسين ، ونظرت إلى ذينك الغلامين ، فيخاطب الصاحب الأكبر بالكاف ، وليس الكلام شعرا فتحتمل له جرأة الخطاب فيه ، كقوله : لقينا بك الأسد ، وسألنا منك البحر، وأنت السيد القادر ، ونحو ذلك .

وعلة جوازه ذلك عندي أنه لم تخاطب الملوك بأسمائها إعظاما لها ، إذ كان الاسم دليل المعنى ، وجاريا في أكثر الاستعمال مجراه ، حتى دعا ذاك قوما إلى أن زعموا أن الاسم هو المسمى ، فلما أرادوا إعظام الملوك وإكبارهم تجافوا وتجانفوا عن ابتذال أسمائهم التي هي شواهدهم ، وأدلة عليهم ، إلى الكناية بلفظ الغيبة ، فقالوا : إن رأى الملك أدام الله علوه ، ونسأله حرس الله ملكه ، ونحو ذلك ، وتجانفوا (إن رأيت) و (نحن نسألك) ، فلما خلعت عن هذه الكاف دلالة الاسمية وجردت للخطاب البتة جاز استعمالها ، لأنها ليست باسم فيكون في اللفظ به ابتذال له ، فلما خلصت هذه الكاف خطابا البتة ، وعريت من معنى الاسمية ، استعملت في خطاب الملوك لذلك " [٣٨] .

وتتجسد استراتيجية النفوذ والتواصل عند (ابن جني) من خلال ما استشهدنا به من أن هناك علامات لغوية معينة، تشير رغبة المرسل في إظهار قوة ونفوذ المرسل إليه، مما يستنتج من ذلك أن المرسل أو المخاطب يقدم الآخر على نفسه وفقا لما تقتضي قوته وتعالي سلطته عليه [٣٩]، كما أن في ذكره للضمائر إشارة إلى أهمية وضع المبهمات في محلها من الخطاب ودورها في إظهار التباين الهرمي بين المتخاطبين، وكذلك أثر هذه الضمائر في تنويع صيغ الخطاب، إذ تعد صيغ الخطاب واحدة من الوسائل اللسانية التداولية الهامة الذي يجعل منها المرسل علامة مائزة في الاستعمال اللغوي ، على توجيه الخطاب إلى المرسل إليه من الناحية النفسية والاجتماعية ، وهذه الصيغ مثل : الضمائر ، والأسماء ، وعبارات التودد التي تمثل كلا من علاقات الرتبة والتضامن بين المرسل والمرسل إليه [٤٠] .

هذا ومن شأن الخطاب في استراتيجية القوة أو النفوذ وهو الأمر الذي أكده (ابن جني) خلال النص السالف أن لا يساوي بين درجات أطرافه ، وأن يزيد الأبعاد المكانية بين المتخاطبين ، ويوسع من الدرجات والمقامات بينهما . على عكس التواصل أو التضامن الذي يساوي بين درجات أطرافه ، ويقلص تلك الأبعاد ، ويقلل من تلك الدرجات والمقامات ، مما يضيق معه إطار الفرقة وتنتفي به عوامل التشتت ، حتى تصبح العلاقة متكافئة بينهما .

أما (الراغب الأصفهاني) فينطلق في تبيان البعد التداولي في الخطاب عبر بوابة (النفوذ والتواصل) ، فيورد في كتابه الهام المذكور (محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء) في باب " وصايا المؤدبين في الأولاد " ، نصا صيغ خطابه من الأعلى إلى الأدنى ، إلا أن الاستراتيجية الخطابية تتأرجح ما بين التوجيه والتضامن ، يتناسب مع مقاصد المرسل إلى المرسل إليه ، جاء فيه : " أوصى هشام بن عبد الملك سليمان الكلبي لما اتخذه مؤدبا : إن ابني هذا هو جلدة ما بين عيني ، وقد وليتك تأديبه فعليك بتقوى الله وأداء الأمانة فيه بخلال ، أولها : إنك مؤتمن عليه ، والثانية : أنا إمام ترجوني وتخافني ، والثالثة : كلما ارتقى الغلام في الأمور درجة ارتقيت معه ، وفي هذه الخلال ما يرغبك في ما أوصلك به ، إن أول ما آمرك به أن تأخذه بكتاب الله ، ثم روى من الشعر أحسنه ، ثم تخلل به أحياء العرب ، فنجد من صالح شعرهم هجاء ومديحا وبصره طرفا من الحلال والحرام ، ثم أجلسه كل يوم للناس ليتذكر " . (٤١)

يتحدد المقوم السياقي لاستراتيجية النفوذ أو السلطة في النص أعلاه من خلال أفعال الأمر العديدة التي استدعاها المرسل في خطابه من قبيل (فعليك ـ أوصلك ـ آمرك ..) وغيرها ، وهو توجيه تداولي مقصود للمتلقي ، ولكن هذا التوجيه أتى من الخليفة في سياق التوصية المضمنة لنوع من التماس وجوب النصيحة للمؤدب في القيام مما هو مطلوب منه تجاه ابنه ، لذا فالموقف الخطابي لم ينهج نهجا استعلائيا بحتا تجاه المخاطب أي سلطة ونفوذ مطلقة ، وإنما حاول توظيف التفاعل الاجتماعي في النص المرتكز على المقصد التداولي ، والمتمثل بفكرة التمثيل والإنجاز للفعل لما هو مسعى إليه وغاية يبتغى تحقيقه . فليس هناك إذن من إكراه مباشر في الخطاب حتى لو أتت الصياغة بأسلوب الأمر ، كما أن العلاقة بين طرفي الخطاب ليست مبنية على القوة ومتخلقة بالوصاية اللزومية بتوجيه الحال نحو خيار واحد ، وإنما نوع البيان هنا محترز في الدلالة بين النفوذ والتضامن معا ، وكأنه توجيه عمودي في مغزى أفقي تبناه منشأ الخطاب نحو فتح إمكانات جديدة في الفهم وبناء المعنى ، وكأن الهدف لديه أي المرسل أسمى من إظهار شكل العلاقة بينه(الخليفة) وبين المتلقي (المؤدب) ، من حيث الرتبة والدرجة والمكانة والنفوذ فضلا عن الوجاهة . ويظهر من النص كذلك أن صاحب العلاقة الأقوى (الخليفة) كان مبادرا للتضامن مع من هو أدنى منه (المؤدب) ، أكثر من النفوذ الذي يمتلكه في خطابه تجاهه ، لذا فقد في كلام المرسل قدرا من التسامح وضمورا للوجاهة الملزمة للمرسل إليه ، حتى يبلغ الغاية مداها في نفس(الخليفة) كما بينا ، وهو ما أظهره الخطاب من تضييق الهوة والفارق بينما ، بما هو غير متعارف ولا متدارك في مخاطبة الملوك للرعية في العادة .

ونأتي أخيرا إلى (ابن القيم) في تعاطيه الصريح لنظرية (النفوذ والتواصل) ، ونكشف عن تعليله التداولي لهذا الخطاب في التفرقة بين الخاصة والعامة بدرجة التراسل الكلامي ، وبين الشخص المخاطب عندما يصير في مكانة نفوذ وسلطة ، وما قبل هذه المنزلة عندما يكون في الدرجة والمقام الخطابي المعتاد . فيورد في كتابه المعروف (بدائع الفوائد) نصا في باب استخلصه بعنوان (خطاب الرؤساء باللطف واللين) ، إذ يقول : " كثير من الناس يطلب من صاحبه بعد نيله درجة الرياسة ، الأخلاق التي كان يعامله بها قبل الرياسة ، فلا يصانها

فينتقض ما بينهما من المودة ، هذا من جهل الصاحب الطالب للعادة وهو بمنزلة من يطلب من صاحبه إذا سكر أخلاق الصاحي ، وذلك غلط ، فإن للرياسة سكرة كسكرة الخمر أو أشد ، ولو لم يكن للرياسة سكرة لما اختارها صاحبها على الآخرة الدائمة الباقية ، فسكرتها فوق سكرة القهوة بكثير ، ومحال أن يرى من السكرات أخلاق الصاحي وطبعه " (٤٢).

ينبغي (ابن القيم) من هذا النص المهم تبيان تلك الفوارق الاجتماعية والرتب الهرمية في اختيار نوع الأساليب التخاطبية بين المرسل والمرسل إليه ، فالوضعية الوظيفية المعتادة لا تستلزم استراتيجية خطابية مغايرة بين الطرفين ، وإنما التضمين المناسبة هو الذي يفصل الحدث الكلامي بينهما ، ولكن عندما يتعلق الأمر بخطاب من هو أعلى كمقام الملوك والرئاسة ومن هو في شأوهم ومركز نفوذهم يستلزم العدول إلى البعد التوجيهي للخطاب ، عند ذاك يكون الأسلوب برفق وطلب ولين وتؤدة ، تبعا لخاصية المخاطب ورمزية مقامه المتعالي ، وذلك كي يحظى المتكلم بالقبول والاستجابة لما هو ساع إليه وراغب في إنجازه والتماس تحقيقه . ويكون التوجه الخطابي إلى الأعلى من قبيل : إن رأى مقامكم الرفيع في طلبنا ، ونحن نسأل قبول معاليكم فيما جئنا من أجله ، وتفضل سماحتكم بالنظر إلى ما نسعى إليه ... إلخ ، فهذه الصيغ التخاطبية وغيرها تعبر عن القصد التداولي في سياقه التواصلي ، والتي تمكن المتلقي من أن يتخير ألفاظه وعباراته بما يتناسب مع أهدافه ومراعاة درجة ومقام من يرسل إليه الكلام .

فهذه المرتكزات والمؤشرات التعبيرية التداولية الظاهرة التي احتواها تراثنا اللساني فيما استشهدنا به من نصوص بعض المصادر المعتبرة عن هذين المعيارين التخاطبيين بعد أن ألفينا حضورهما (النفوذ والتواصل) بقوة في الخطاب ، تؤكد مسعى لسانيا وظيفيا هاما لطبيعة الأداء اللغوي وتوسيع دائرته في الكلام العربي ، عن طريق إدخال مكونات فوق لسانية لإظهار الرتب المباينة للأساليب ، ومغايرة بعضها عن بعض ، وهي خطوة مهمة باتجاه وصف اللغة وتحليلها في إطار تواصلي .

الخاتمة

في ختام هذا البحث نجمل أهم ما توصل إليه البحث من نتائج :

. تعد الفائدة التخاطبية مقصدا مهما من المقاصد المعنوية في النحو العربي على غرار المقاصد اللفظية ، وهو مقصد عظيم من مقاصد العرب ، ومحور رئيسي من المحاور التي تدور عليها كثير من الأبواب النحوية .

ـ ربط النحاة واللغويون العرب في تحليلاتهم للنصوص اللغوية في مظان مؤلفاتهم ، بين مفهوم (الفائدة التخاطبية) وبين مجموع الظروف والأحوال التي تحيط بالحدث الكلامي وبعناصره ، من متكلم ومخاطب وحال

مشاهدة ، مما يدفعنا إلى ذلك بالقول : إن استيعابهم لماهية اللغة ، دفعهم أحيانا إلى تخطي حدود النص الذاتية في تحليلاتهم اللغوية مستعينين في ذلك بمعيار الفائدة ، وقد ضربنا في ذلك أمثلة عديدة من مصادرهم .

ـ إن الفائدة التخاطبية ناتجة عن مستوى استعمالي خاص من التراكيب ، يكشف عن وجود علاقة مسبقة بين المتكلم والمخاطب ، وإلا لما كانت عملية التواصل قائمة على الملاءمة والفهم والإفهام .

ـ إن نظرية (النفوذ والتواصل) التداولية أو القوة والتضامن كما تسمى أيضا ، جاءت لتعكس العلاقات الاجتماعية بين المتخاطبين ، وصور الأداء اللغوي التي تظهر التباين الهرمي للصيغ المؤدية لهذا النوع من التواصل . وهما كحيثية من حيثيات علم اللغة الاجتماعي يعكس الكلام بين المتحدث والمخاطب ، لذا فهما يعدان من المفاهيم المستحدثة في الاعتبار كما الاستعمال اللغوي.

ـ توصل البحث إلى أن مفهومي (النفوذ والتواصل) بهذا الاعتبار التحليلي التداولي يمثلان حالة تضايفية للواقع الاجتماعي اللغوي من خلال تأثيرها كليا أو جزئيا بالمتغيرات الاجتماعية التي تصاحب الحدث الكلامي ، فضلا عن نوع العلاقة الحاكمة بين المتحدثين ومركزية الذوات ونفوذها ، وطبيعة النظرة والتركيبة الاجتماعية . جميع هذه الاعتبارات شواهد ودوال على الاختيارات اللغوية التي تحدد صور العملية التخاطبية عبر (النفوذ والتواصل) ودرجاتهما المتفاوتة بين المتحدث والمخاطب .

ـ وقد توصل البحث ـ وهو عمدة الدراسة وغايتها ـ إلى أن لنظرية (النفوذ والتواصل) جذورا شبيهة وواضحة في التراث اللساني العربي تصل إلى درجة الموافقة والتطابق التام ، فقد تحدثت تلك المصادر التي اعتمدها البحث عن الفكرة الوظيفية لهذه النظرية التداولية ، تلك الآلية الأسلوبية القائمة بين المتخاطبين ، والتفت إلى حال المخاطب ومركز نفوذه في الخطاب ، ومراعاة السلطة والتوجيه في الكلام .

ـ كما بين البحث استراتيجية (النفوذ والتواصل) عند (ابن جني) وذلك من خلال بعض الشواهد المعروضة في كتابه (الخصائص) ، فذكر أن هناك علامات لغوية معينة، تشير رغبة المرسل في إظهار قوة ونفوذ المرسل إليه في الخطاب ، مما يستنتج من ذلك أن المرسل أو المخاطب يقدم الآخر على نفسه وفقا لما تقتضي سلطته عليه ونفوذه ومكانته عنده ، كما أن في ذكره للضمائر إشارة إلى أهمية وضع المبهمات في محلها من الخطاب ودورها في إظهار التباين الهرمي بين المتخاطبين، وكذلك أثر هذه الضمائر في تنويع صيغ الخطاب التداولي .

ـ وكذلك (الراغب الأصفهاني) في كتابه الهام (محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء) فقد انطلق في تبيان البعد التداولي في الخطاب عبر بوابة (النفوذ والتواصل) ، وقد تأرجحت الاستراتيجية الخطابية عنده ما بين (التوجيه والتضامن) ، بما يتناسب مع مقاصد المرسل إلى المرسل إليه عبر هذه الآلية اللسانية التداولية.

ـ أما (ابن القيم) فقد كشف عن تعاطية الصريح لنظرية (النفوذ والتواصل) الخطابي ، في كتابه المعروف (بدائع الفوائد) وذلك في تعليله التداولي عن التفرقة الحاصلة عبر هذا الخطاب بين الخاصة والعامة بدرجة التراسل الكلامي ، وتبيان تلك الفوارق الاجتماعية والرتب الهرمية في اختيار نوع الأساليب التخاطبية بين المرسل والمرسل إليه .

المصادر والمراجع

ـ الاتجاه التداولي والوسيط في الدرس اللغوي : د . نادية رمضان النجار ، ط١ ، جامعة حلوان ، مصر ، ٢٠١٣م .

ـ أثر النحاة في البحث البلاغي : د. عبد القادر حسين : ط٢، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٩٨م .

ـ استراتيجية الخطاب ، مقاربة لغوية تداولية : عبد الهادي بن ظافر الشهري ، ط١ ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، لبنان ، ٢٠٠٤م .

ـ الاستلزام الحواري في التداول اللساني ، من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها : العياشي أدراوي ، ط١ ، منشورات الاختلاف ، دار الأمان ، الرباط ، ٢٠١١م .

ـ الأسس الأبستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه : د. إدريس مقبول ، ط١، علم الكتاب الحديث ، جدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع ، عمان ، ٢٠٠٦م .

ـ الأشباه والنظائر في النحو : السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن (ت٩١١هـ) ، تحقيق : د. عبد العال سالم مكرم ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٥م .

ـ الأصول في النحو : أبو بكر محمد بن سهل بن السراج (ت ٣١٦هـ) ، تحقيق : د. عبد الحسين الفتلي ، مطبعة النعمان ، النجف ، ١٩٧٣م .

ـ الأعراف أو نحو اللسانيات الاجتماعية في العربية : د. نهاد الموسى ، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية ، الجامعة التونسية ، ١٩٨٦م .

ـ آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : د. محمود أحمد نحلة ، ط١ ، دار المعرفة الجامعية ، القاهرة ، ٢٠٠٢م .

ـ الانصاف في مسائل الخلاف بين النحويين ، البصريين والكوفيين : كمال الدين أبو البركات ابن الأنباري (ت ٥٧٧هـ) ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، (د.ت) .

ـ بدائع الفوائد : محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ، ط١، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٧٠م .

ـ تحليل الخطاب : براون ويول ، ترجمة : محمد لطفي الزليطي ، ومنير التريكي ، جامعة الملك سعود ، ١٤١٨هـ .

ـ التداولية : جورج يول ، ترجمة : د. قصي العتابي ، ط١ ، الدار العربية للعلوم ، بيروت ، ٢٠١٠م .

ـ التداولية عند العلماء العرب ، دراسة تداولية لظاهرة " الأفعال الكلامية " في التراث اللساني العربي : د. مسعود صحراوي ، ط١ ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، ٢٠٠٥م .

ـ التداولية من أوستن إلى غوفمان : فيليب بلانشيه ، ترجمة : صابر الحباشة ، ط١ ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، سورية . اللاذقية ، ٢٠٠٧م .

ـ الحجاج في البلاغة العربية المعاصرة ، بحث في بلاغة النقد المعاصر : د. محمد سالم محمد الأمين الطلبة ، ط١ ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، ٢٠٠٨م .

ـ الخصائص : أبو الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ) ، تحقيق : محمد علي النجار ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، (د.ت) .

ـ دلائل الإعجاز في علم المعاني : أبو بكر عبد القاهر بن محمد الجرجاني (ت٤٧١هـ) ،علق عليه السيد : محمد رشيد رضا ، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ٢٠٠١م .

ـ الرمز والسلطة : بيير بورديو ، ترجمة : عبد السلام بنعبد العالي ، ط٢ ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، ١٩٩٠م .

ـ سوسيولوجيا اللغة : بيار أشار ، ط١ ، منشورات عويدات ، بيروت ، ١٩٩٦م .

ـ العقل واللغة والمجتمع ، الفلسفة في العالم الواقعي : جون سيرل ، ترجمة : سعيد الغانمي ، ط١ ، منشورات الاختلاف ، الدار العربية للعلوم ، بيروت ، ٢٠٠٦م .

ـ علم الدلالة : بالمر ، ترجمة : مجيد الماشطة ، حليم حسين فالح ، كاظم حسين باقر ، مطبعة جامعة البصرة ، البصرة ، ١٩٨٠م .

ـ علم اللغة الاجتماعي : هدسن ، ترجمة : د. محمود عبد الغني عياد ، ط١ ، دار الشؤون العامة ، بغداد ، ١٩٨٧م .

ـ علم اللغة الاجتماعي ، مفهومه وقضاياه : د. صبري السيد ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٩٥م .

ـ لسانيات النص ، مدخل إلى انسجام الخطاب : محمد خطابي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، (د.ت) .

ـ اللغة والتأويل ، مقاربات في الهرمينوطيقا الغربية والتأويل العربي الاسلامي : عمارة ناصر ، ط١ ، منشورات الاختلاف ، الدار العربية للعلوم ، بيروت ، ٢٠٠٧م .

ـ مبادئ التداولية : جيوفري ليتش ، ترجمة : عبد القادر قنيني ، ط١ ، أفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، ٢٠١٣م .

ـ محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء : الحسن بن محمد الراغب الأصفهاني ، تحقيق : عمر الطباع ، ط١ ، دار الأرقم ، بيروت ، ١٩٩٩م .

ـ مدخل إلى اللسانيات : د. محمد محمد يونس علي ، ط١ ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، ٢٠٠٤م .

ـ مغامرة المعنى من النحو إلى التداولية ، قراءة في " شروح التلخيص " للخطيب القزويني : صابر الحباشة ، ط١ ، دار صفحات للدراسات والنشر ، دمشق ، ٢٠١١م .

ـ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب : جمال الدين بن عبدالله بن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ) ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٨٧م .

ـ النص والسياق ، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي : فان ديك ، ترجمة : القادر قينيني ، أفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، ٢٠٠٠م .

ـ الوجهة الاجتماعية عند ابن جني في كتاب الخصائص : د. سائدة عمر العيص ، دار الفلاح للنشر والتوزيع ، عمان ، ٢٠٠٧م .

هوامش البحث

(١) ينظر : مبادئ التداولية : جيوفري ليتش ، ترجمة : عبدالقادر قنيني : ٢٧ـ ٢٨ . والتداولية : جورج يول ، ترجمة : د. قصي العتابي : ٦٨ـ ٦٩ . والاستلزام الخطابي في التداول اللساني : العياشي أدراوي : ١١٦ ـ ١١٧ .

(٢) ينظر : مدخل إلى اللسانيات : محمد محمد يونس علي : ١٠٢ .

(٣) ينظر : مغامرة المعنى من النحو إلى التداولية : صابر الحباشة : ٢٥ .

(٤) التداولية عند العلماء العرب ، دراسة تداولية لظاهرة " الأفعال الكلامية " في التراث اللساني العربي : مسعود صحراوي : ١٨٦ ـ ١٨٧ .

(٥) الخصائص : ١ / ١٧ .

(٦) المصدر نفسه : ١ / ١٨ .

(٧) المصدر نفسه : ١ / ١٩ ـ ٢٠ .

(٨) ينظر : الأشباه والنظائر في النحو : جلال الدين السيوطي : ٢ / ٣٩ .

(٩) الأصول في النحو : ١ / ٥٩ .

(١٠) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب : ٢ / ٤٦٧ .

(١١) الأصول في النحو : ١ / ١٠٧ .

(١٢) المصدر نفسه : ١ / ٢١٤ .

(١٣) الإنصاف في مسائل الخلاف : ابن الأنباري : ٢ / ٤٥٦ .

(١٤) ينظر : الأصول في النحو : ١ / ٧٣ ، والإنصاف في مسائل الخلاف : ١ / ٢٥٩ ، ومغني اللبيب : ٢ / ٦٠٣ .

(١٥) دلائل الإعجاز : ٥٩ .

(١٦) الأعراف أو نحو اللسانيات الاجتماعية العربية : نهاد الموسى : ١٤٧ .

(١٧) الخصائص : ١ / ٢٤٧ .

(١٨) الخصائص : ١ / ٢٤٦ .

(١٩) ينظر : أثر النحاة في البحث البلاغي : عبد القادر حسين : ١٩٨ ، وآفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : محمود أحمد نحلة : ١٢٢ .

(٢٠) الخصائص : ٢ / ٢٧٨ .

(٢١) ينظر : الأسس الإبستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه : ادريس مقبول : ٣٣٢ ، والحجاج في البلاغة المعاصرة ، بحث في بلاغة النقد المعاصر :

محمد سالم محمد الأمين الطلبة : ١٤٢ .

(٢٢) اللغة والتأويل ، مقاربات في الهرمينوطيقا الغربية والتأويل العربي الإسلامي : عمارة ناصر : ١٥٠ .

(٢٣) ينظر : لسانيات النص ، مدخل إلى انسجام الخطاب : محمد خطابي : ٢٥٦ .

(٢٤) ينظر : تحليل الخطاب : براون ويول ، ترجمة : محمد لطفي الزليطي ، ومنير التريكي : ١٠٣ ـ ١٠٤ . واستراتيجية الخطاب ، مقاربة لغوية تداولية : عبد القادر بن ظافر الشهري : ٢٣٦ .

(٢٥) ينظر : علم اللغة الاجتماعي : هدسن ، ترجمة : محمود عبد الغني عياد : ٢٠٩ ، والعقل واللغة والمجتمع ، الفلسفة في العالم الواقعي : ترجمة : سعيد الغانمي : ٢٠٠ .

(٢٦) ينظر : استراتيجية الخطاب : ٢٥٦ .

(٢٧) ينظر : الاتجاه التداولي والوسيط في الدرس اللغوي : د. نادية رمضان النجار : ١٣٤ .

(٢٨) ينظر : التداولية : جورج يول : ٩٧ .

(٢٩) ينظر : تحليل الخطاب : ١٢٢ .

(٣٠) علم الدلالة : بالمر ، ترجمة : مجيد الماشطة : ٧٣ .

(٣١) ينظر : سوسيولوجيا اللغة : أشار بيار : ٨٦ .

(٣٢) ينظر : علم اللغة الاجتماعي ، مفهومه وقضاياه : صبري ابراهيم السيد : ١٦٥ .

(٣٣) سورة هود ، آية : ٧٦ .

(٣٤) سورة طه : آية : ١٧ .

(٣٥) سورة مريم : آية : ١٢ .

(٣٦) سورة المسد ، آية : ١ .

(٣٧) ينظر : الوجهة الاجتماعية عند ابن في كتاب الخصائص : د. سائدة عمر العيص .

(٣٨) ينظر : الرمز والسلطة : بيير بورديو ، ترجمة : عبد السلام بنعبد العالي : ١٣٦ .

(٣٩) الخصائص : ٢ / ١٨٩ .

(٤٠) ينظر : التداولية من أوستن إلى غوفمان ، ترجمة : صابر الحباشة : ٨٠ ـ ٨١ ، والنص والسياق ، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي : فان ديك ، ترجمة : عبد القادر قينيني : ١٥٥ .

(٤١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء : الراغب الأصفهاني : ١ / ٧٥ .

(٤٢) بدائع الفوائد : ابن قيم الجوزية : ٣ / ١٣

Abstrac

This study is considered a foundational linguistic starting point approaching the concept of communicative interest through the deliberative theory and the communicative function of discourse in the Arab linguistic heritage, by emphasizing the mechanical characteristic of language, and in subjecting linguistic behavior to the movement of communication and social interaction, where social relations and through the status of the addressees, their ranks and their status play a functional role Important in the field of linguistic use, from the position of the addressee and his relationship with the speaker, the class of the addressee and his influence on the speaker, all of this and others were covered by the research through the theory of (influence and communication) discursive. Those meanings and discursive connotations that govern linguistic communication between the speaker and the interlocutor was able to be explored by research in the folds of the ideas of the ancient Arab linguistic sources and in the deliberative style followed in their methods, from what he turned to from the state of the addressee, and taking into account his position in the linguistic discourse, in a distinctive use strategy, through which he was differentiated Among the interlocutors of rank, degree, and affiliation, the language is governed within the framework of special production laws, and forms of the qualitative organizational hierarchy of speech.